١٣٧٢
مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

د. مريم بنت علي الحوشاني

الخصومات يوم القيامة في ضوء الكتاب والسنة

الدكتورة مريم بنت علي الحوشاني

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك كلية الآداب–قسم الدراسات الإسلامية جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

ملخص البحث: البحث يتناول جميع الخصومات التي تقع في يوم القيامة، في ضوء الكتاب والسنة. أهداف البحث: يعمد البحث إلى هدفين: التعريف بالخصومة، وما يقاربها من مصطلحات، والفرق بينها، وأنواع الخصومات التي تقع في يوم القيامة، ومقاصدها، في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة. منهج البحث: قامت الدراسة على المنهج الاستقرائي، ثم منهج الاستنباط. وقد خرج البحث بالنتائج التالية: أن الخصومة تختلف عن الحوار، ففي يوم القيامة سيكون هناك حوارات متعددة ومتنوعة، بعضاً من تلك الحوارات يكون على وجه الخصومة، وهو يتنوع ويتعدد، وهذه الخصومات، هي خصومة الله لبعض عباده، وهي أربع خصومات، وخصومة الخلق فيما بينهم وهي تسع خصومات، وخصومة الأعمال عن صاحبها وهي خصومتان، وأن المقصد من التخاصم يتنوع ويختلف بحسب نوع الخصومة، وقد يجتمع أكثر من مقصد في خصومة واحدة. وبالرغم من تعدد الخصومات يوم القيامة وتنوعها، ووقعها الأليم على النفوس، إلا أنها تعد جزء يسيراً جداً من أحداث هذا اليوم العظيم، وجاءت التوصيات: بأنه في ظل طغيان الماديات، وانسياق الناس، إلى المغريات والملهيات، ينبغي على العلماء والدعاة، تذكير الناس بيوم الدين، وما فيه من بشارات لأولياء الله المؤمنين، ونكال للمتمردين، وضرورة تضمين مناهج التعليم، حديثاً عن اليوم الآخر، بما يتناسب مع كل مرحلة تعليمية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الخصومات يوم القيامة في ضوء الكتاب والسنة

الكلمات المفتاحية للبحث: الخصومات، التخاصم، المحاجة، يوم القيامة.

المقدمة

الحمد الله رب العالمين، أنعم علينا بالإسلام ديناً، وبالقرآن الكريم منهجًا، وبمحمدٍ -ﷺ- نبياً ورسولاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته الكرام إلى يوم الدين، وبعد:

يعد اليوم الآخر ركناً من أركان الإيمان قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة:١٧٧].ومن الإيمان بهذا اليوم العظيم، الإيمان بكل ما يحدث فيه من أهوال، وأمور جسام، أخبرنا بها الله- ﷻ -في كتابه العزيز، ونبينا -ﷺ- بما صح عنه من أحاديث، ومن هذه الأمور التي ستحدث في هذا اليوم العظيم، الخصومات المتنوعة والمتعددة ومنها، مخاصمة الله لبعض عباده بنفسه سبحانه، ومخاصمة بعض الأعمال الصالحة عن أصحابها، والتخاصم بين الظالمين والمظلومين، وتخاصم أهل النار، المعبودين والعابدين، والمتبوعين والأتباع ، والضعفاء والمستكبرين، ومخاصمة المرء أعضاءه.. إلى غير ذلك من الخصومات التي تختلف أهدافها، ومقاصدها، حسب نوع الخصومة. وهذه الخصومات، وغيرها من مشاهد يوم القيامة، تدخل ضمن الإيمان بالغيب، الذي امتدح الله به المؤمنين بقوله سبحانه: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:١-٣].

مجلة العلوم الشرعية
جامعة *القصيم*، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وفي هذا البحث سأتناول جميع الخصومات التي تقع يوم القيامة، مستندة في ذلك، على الكتاب وما صح عن خير هذه الأمة، معرضة عن الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، وعنونت له بـ (الخصومات يوم القيامة في ضوء الكتاب والسنة).

أسباب اختيار الموضوع، وأهميته:

١-الخلط الذي يقع عند البعض في فهم أن كل حوار يكون يوم القيامة هو خصومة، فجاء هذا البحث موضحاً الفرق بينهما، ومبينا ما يقع من حوارات يوم القيامة على وجه التخاصم.

٢-إبراز حدث من أحداث يوم القيامة، وهي الخصومات التي تقع في هذا اليوم العظيم.

٣-إن الإيمان بما يقع في اليوم الآخر من أحداث ومواقف يدخل ضمن الإيمان بالغيب الذي يؤجر عليه العبد، والذي امتدح الله به المؤمنين في آيات عدة في كتابه العزيز.

مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث بالإجابة عن التساؤلات التالية:

١-ما الخصومات يوم القيامة؟

٢-ما أدلة الخصومات يوم القيامة من الكتاب والسنة؟

٣-ماالمقصد من الخصومات التي تقع يوم القيامة؟

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

حدود البحث:

سيقتصر البحث عن الخصومات يوم القيامة فقط، وأدلتها من الكتاب والسنة الصحيحة في الكتب التسعة، دون ذكر الخصومات التي ورد ذكرها في الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى أمرين:

١-التعريف بالخصومة وما يقاربها من مصطلحات والفرق بينها. ومقاصد الخصومة، وأنواعها وحكمها في الدنيا.

٢-بيان الخصومات بالتفصيل، والتي ستقع يوم القيامة، في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، ومقاصدها.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، ثم المنهج الاستنباطي.، سالكة في طريقة التوثيق وكتابة البحث، المنهج العلمي المتبع بإعداد البحوث العلمية.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس مصادر ومراجع، على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وخطته. والدراسات السابقة.

التمهيد: مدخل إلى الخصومات يوم القيامة، ويشتمل على:

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الأول: التعريف بالخصومة والألفاظ المقاربة لها، في القرآن والسنة.

الثاني: مواضع الخصومات يوم القيامة.

الثالث: مقاصد الخصومات يوم القيامة.

الرابع: أنواع الخصومات، وحكمها.

المبحث الأول: خصومة الله لخلقه وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مخاصمة الله للظالمين جميعاً.

المطلب الثاني: مخاصمة الله لرجل أعطى به ثم غدر، ورجل باع حراً وأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه حقه.

المطلب الثالث: مخاصمة الله لمن ظلم معاهداً، أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس.

المطلب الرابع: مخاصمة الله للمرائين.

المبحث الثاني: خصومة الخلق بعضهم لبعض، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: مخاصمة الجار لجاره.

المطلب الثاني: مخاصمة الظالمين بعضهم لبعض.

المطلب الثالث: مخاصمة الشهداء والمتوفين على فرشهم، في الذين يتوفون من الطاعون.

المطلب الرابع: مخاصمة المقتول للقاتل.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المطلب الخامس: مخاصمة أهل النار.

المطلب السادس: مخاصمة المرء قرينه الشيطاني.

المطلب السابع: مخاصمة المرء أعضاءه.

المبحث الثالث: خصومة الأعمال عن صاحبها. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مخاصمة سورتي البقرة وآل عمران عن صاحبهما.

المطلب الثاني: مخاصمة الرحم والأمانة عن صاحبها.

الخاتمة واشتملت على أهم النتائج والتوصيات. ثم فهرس المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

من خلال تتبعي لما كتب في هذا الموضوع، لم أجد من أفرد الخصومات بوجه خاص في ضوء الكتاب والسنة، ببحث مستقل ــحسب علميــ ويوجد بحث بعنوان: (الحوار في اليوم الآخر في القرآن الكريم ــدراسة موضوعية-) لعبد الخالق بن سليم القرشي، وهو في الأصل رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، في تخصص التفسير، وتكوّن البحث من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، وموضوع البحث: استقصاء جميع آيات الحوار في اليوم الآخر من القرآن الكريم، ثم تفسيرها تفسيرًا موضوعيًا؛ من خلال كتب التفسير المعتبرة. وأجمل نقاط الاختلاف بين هذا البحث، والبحث الذي سوف أتناوله في:

١-أن بحث الحوار في اليوم الآخر شمل جميع الحوارات يوم القيامة الواردة في القرآن الكريم، دون التمييز فيما ورد منها على وجه الخصومة، أو المجادلة، أو الحوار. وهذا البحث سيكون مقتصرًا على الخصومات فقط.

جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

٢-أن بحث الحوار في اليوم الآخر في القرآن الكريم، كانت الدراسة فيه تفسيرية موضوعية. بينما بحث الخصومات ستكون الدراسة فيه عقدية مجملة، بعرض الخصومات باعتبارها من أحداث اليوم الآخر.

٣- أن بحث الحوار في اليوم الآخر اقتصر فقط على الحوارات في القرآن الكريم، وهذا البحث تناول الخصومات في القرآن والسنة الصحيحة.

كما أنّ هناك من تحدث عن موضوع الخصومات يوم القيامة بشكل مختصرٍ جداً، وكان حديثه ضمن موضوع اليوم الآخر، كمبحث من مباحث الكتاب، كما في كتاب اليوم الآخر - د. عمر الأشقر- ، وكتاب اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة - لعبدالمحسن المطيري -.

التمهيد: مدخل إلى الخصومات يوم القيامة

الأول: التعريف بالخصومة والألفاظ المقاربة لها، في القرآن والسنة.

١- تعريف الخصومة:

تعريف الخصومة في اللغة:

الخُصومَةُ: الجَدَلُ .خاصَمَه خِصاماً ومُخاصَمَةً فَخَصَمَهُ يَخْصِمهُ خَصْماً: غلبه بالحجة، والخُصومَةُ الاسم من التَّخاصُمِ، واخْتَصَمَ القومُ وتَخاصَموا، وخَصْمُكَ: الذي يُخاصِمُكَ، وجمعه خُصُومٌ، وخُصماء، وقد يكون الخَصْمُ للاثنين والجمع والمؤنث [1] .قال تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ [ص:٢١] فجعله جمعاً لأنه سمي بالمصدر، والخصومة: الاسم من التخاصم والاختصام، يقال: خاصم فلان فلاناً مخاصمة وخصاماً،

---

(١) انظر لسان العرب ابن منظور (١١/ ١٠٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

والخُصْمُ: الطرَف، وزوايا الوسائد، والجواليق، والفرش، كلها أخْصامُ ،واحدها خُصْم [٢] ،وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر أي جانبه، وأن يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب. [٣]وخصِم فلان، أحكم الخصومةَ والنزاع قال تعالى ﴿وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾[البقرة:٢٠٤] أي: جادل وناقش وعاند ودافع بالباطل[٤].

تعريف الخصومة في الاصطلاح:

عرّف بعض العلماء الخصومة والاختصام: بأنها بمعنى المجادلة، فلا فرق بينهما عندهم.[٥] وبعضهم عرفها بأنها: المنازعة والمغالبة قالوا: وسميت المخاصمة مجادلة ، لأن كل واحد من الخصمين يروم أن يفتل صاحبه.

وقيل: بأنها لجاج في الكلام ليستوفي بها مالاً أو حقًا مقصودًا، وتارة تكون ابتداءً، وتارة تكون اعتراضًا.[٦] وقيل: اسم لكلام يجري بين اثنين على سبيل المنازعة والمشاحة.[٧]

والاختصام يعرف بأنه: ردّ كل واحد من الاثنين ما أتى به الآخر من جهة الإنكار له، فقد يكون أحدهما محقاً، والآخر مبطلاً، كاختصام الملحد مع الموحد وقد يكونان جميعاً مبطلين كاختصام اليهود والنصارى [٨]

---

(٢)انظر العين، الفراهيدي (٤ / ١٩١).

(٣) انظر المفردات في الفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٢٨٤).

(٤)انظر التعريفات ، الجرجاني (١٠١/١).
(٥)انظر عمدة القاري، العيني (١ /٢٢٤).

(٦)انظر إحياء علوم الدين، الغزالي (١١٨/٣).
(٧)انظر المبسوط، السرخسي (٥/١٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

ويمكن أن تعرّف الخصومة بناء على ما سبق بأنها: ما يجري بين اثنين على سبيل المنازعة والمشاحنة، لإثبات حق، أو واجب عمن يدعيه عن رأيه ويصرفه عنه.(٩)

كما يمكن أن يجمل تعريف الخصومة بأنها: مراجعة الكلام بين طرفين، أو أكثر على سبيل المنازعة والغلظة، قد يكون أحدهما محقاً، وقد يكون كلا الطرفين غير محق.

٢– تعريف المجادلة:

تعريف المجادلة في اللغة:

المجادلة والجَدَل: اللَّدَدُ في الخُصومة والقدرةُ عليها، وقد جادله مجادلة وجِدالاً ورجل جَدِل ومِجْدَل ومِجْدال: شديد الجَدَل، ويقال: جادَلْت الرجل فجَدَلته جَدْلاً أَي: غلبته، ورجل جَدِل: إذا كان أَقوى في الخِصام، وجادَله أَي: خاصمه مُجادلة وجِدالاً، والاسم الجَدَل: وهو شدَّة الخصومة، والجَدَل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة(١٠).وأصله : مِن جَدَلْتُ الحَبلَ : إذا أحكَمْتَ فَتْلَه ، فكأنّ المتجادِلَيْنِ يَفْتِلُ كل

---

(٨) انظر ملحق في شرح يعض المفردات اللغوية والمصطلحات الشرعية المستخرجة من تفسير القرآن مطبوع مع كتاب الحدود في الأصول، ابن فورك، (١٦٤).

(٩)انظر المجموع، النووي (١٠٥/٧).

(١٠) انظر لسان العرب، ابن منظور (١٠٥/١١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

واحدٍ الآخَرَ عن رأيه، وقِيل : أَصْلُ الجِدالِ : الصِّراعُ وإسقاطُ الإنسان صاحِبَه على الجَدالة وهي الأرض الصلبة [١١].

تعريف المجادلة في الاصطلاح:

عرّف العلماء المجادلة بأنها: المخاصمة والمراجعة في الحجة، وقيل منازعة الخصم للتغلب عليه [١٢]. وعرفها البعض أيضا بأنها: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة [١٣]. وقيل الجدال هو: التخاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب [١٤]. وقيل المجادلة: هي مقابلة الحجة بالحجة، وكشف الشبه لدى من تجادله بالأدلة المقنعة والبراهين الواضحة [١٥].

الفرق بين الخصومة والمجادلة:

بالنظر للتعريفات السابقة للخصومة والمجادلة يتبين أن كثيراً من العلماء جعلهما نظائر لبعض، ولم يفرق بينهما، والبعض فرق بينهما، فجعل المخاصمة مقابلة الحجة بالحجة، والخصومة التنازع والمغالبة. وهناك من أتى بفرق دقيق فجعل المجادلة أشد المخاصمة[١٦] . وأيضاً فُرق بينهما فقيل: المجادلة: الاحتجاج لتصويب رأي وردّ ما

---

(١١) انظر المفردات في الفاظ القران، الراغب الأصفهاني (١٨٩،١٩٠).

(١٢)انظر التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ١٠٤).

(١٣) انظر المفردات في الفاظ القران، الراغب الأصفهاني (١٨٩،١٩٠).

(١٤) انظر تاج العروس، الزبيدي (٢٨ /١٩٤).

(١٥) انظر البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز بن فرحان العنزي (١/ ١٦٣).

(١٦) انظر معاني القرآن، النحاس (٢ / ١٨٦).

يخالفه، فهو حوار وتبادل في الأدلة ومناقشتها. وهو حال أوسع من الخصام والمخاصمة، على أن المخاصمة نوع جدل من حيث هي تراد في الكلام والحجج.[١٧] . وفي معجم الفروق اللغوية: أنّ المجادلة: هي المخاصمة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين، والمخاصمة: منازعة المخالفة بين اثنين على وجه الغلظة [١٨].

وبهذا يتبين الفرق بينهما والذي يمكن أن يجمل فيقال: المجادلة: الاحتجاج والتحاور لتصويب رأي، ورد ما يخالفه، وتكون بين اثنين أو أكثر. والخصومة: نوع من الجدال على سبيل المنازعة والمشاحنة، وتكون أيضا بين اثنين أو أكثر. فكل خصومة جدال، وليس كل جدال خصومة.

٣-تعريف الحوار:

تعريف الحوار في اللغة:

الحور: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، قال ابن فارس (ت:٣٩٥ هـ)-رحمه الله-: الحاء، والواو، والراء، ثلاثة أصول: أحدها: لون. والآخر: الرجوع. والثالث: أن يدور الشيء دوراً. فأما الأول: فالحَوَر: شدة بياض العين في شدة سوادها. وأما الرجوع فيقال: حار إذا رجع، وتقول كلمته فما رجع إلى حَوَاراً وحِوَاراً.. والأصل الثالث: المحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة[١٩] . والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. وهم يتحاورون: أي يتراجعون الكلام[٢٠] .

---

(١٧) انظر مفهوم الحكمة في الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد (١/ ٩).

(١٨) انظر معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (٤٨٨/١).

(١٩) انظر معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (١١٦/٢،١١٧).

(٢٠) انظر لسان العرب، ابن منظور (٢١٧/٤،٢١٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

تعريف الحوار في الاصطلاح:

يعرّف الحوار بأنه: مراجعة النطق والكلام في المخاطبة، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [الكهف: ٣٧] أي: يراجعه في الكلام. والحوار: نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب[٢١] . كما عرّف البعض الحوار: بأنه الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا يقصد به الخصومة، وإنما للوصول للحق[٢٢] .

الفرق بين الخصومة والحوار:

إن الخصومة –كما سبق – هي: منازعة ومخالفة بين اثنين على وجه الغلظة، فكلا الخصومة والحوار يتفقان في أنهما مناقشة وتبادل الكلام بين اثنين وأكثر، ويفترقان في أن الخصومة فيها غلظة ومنازعة، أما الحوار فلا يلزم وجود خصومة أو غلظة أو تعصب للرأي، ويكون الغالب الهدف منه معرفة الحق أو اظهاره. فكل خصومة حوار، وليس كل حوار خصومة.

(٢١) انظر الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة، يحي زمزمي (٦).

(٢٢) انظر الحوار أصوله وآدابه السلوكية، أحمد الصويان (١٧).

٤-تعريف المحاجة.

تعريف المحاجة لغة:

الحج: القصد، والكف، والقدوم، والتحاج: التخاصم، وحاجّه محاجّة وحِجاجًا: جادله بالحجة، وكثرة الاختلاف، والمحاجة: أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته. والحجة: الدليل والبرهان، ورجل محجاج: أي جدل. والتحجاج: التخاصم والمنازعة، واحتج بالشيء: اتخذه حُجَّة. وحجَّهُ حَجًا: غلبه على حجته[٢٣] .

تعريف المحاجة في الاصطلاح:

قال أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ) -رحمه الله-: (المحاجة مفاعلة من اثنين مختلفين في حكمين يدلي كل منهما بحجته على صحة دعواه)[٢٤] . وقيل: المحاجة: (تثبيت القصد والرأي لما يصححه) [٢٥] وقال ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ) - رحمه الله-:(الحجة في كلام العرب البرهان المصدّق للدعوى، مع أنّ حاج لا يستعمل

(٢٣) انظر لسان العرب، ابن منظور (٢/٢٢٨،٢٢٩) ؛ ومفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٢١٩،٢٢٠).

(٢٤)تفسير البحر المحيط (٤/١٧٤).

(٢٥)التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (١/٦٤٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

غالباً إلاّ في معنى المخاصمة؛ قال تعالى ﴿وإذ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧] مع قوله ﴿إن ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤]، وأنّ الأغلب أنّه يفيد الخصام بباطل) [٢٦]

الفرق بين الخصومة والمحاجة:

يتضح من خلال التعريف السابق أن الخصومة، والمحاجة تشتركان في أنهما مراجعة الكلام بين طرفين، وأن كلاهما تدلان على المخاصمة والمنازعة، وتفترق الخصومة بأنها تكون على وجه الغلظة والشدة بخلاف المحاجة، التي لا تكون بغلظة وشدة [٢٧] .وبعض العلماء يجعل المخاصمة والمحاجة بمعنى واحد، إذ قد تكون المخاصمة نتيجة للمحاجة.

الثاني: مواضع الخصومات يوم القيامة.

الخصومات التي تكون يوم القيامة لا تكون في موضع واحد، بل تختلف، وبالنظر إلى تلك الخصومات يتضح أن بعضها يكون في أرض المحشر؛ في أثناء القصاص، كما في مخاصمة المقتول للقاتل، والبعض الآخر يكون في أول المحاسبة كما في مخاصمة المرائيين، وبعضها في أثناء المحاسبة، كما في مخاصمة الله – عز وجل _ للظالمين، ومن أعطى به وغدر، وبعضها على الصراط، كمخاصمة الأمانة والرحم عن صاحبهما، وبعضها يكون عند

---

(٢٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣ /٣٢).

(٢٧)انظر معجم الفروق اللغوية، العسكري (١/٤٤٨).

دخول النار، وبعضها يكون بعد الدخول في النار. وهذا كله يتضح في سياق النص الشرعي الذي ورد فيه ذكر التخاصم.

الثالث: مقاصد الخصومات يوم القيامة.

إن المقصد من التخاصم في يوم القيامة، يتنوع ويختلف بحسب نوع الخصومة، فقد يكون التخاصم لاستيفاء حقوق، كما في تخاصم الجار لجاره، والقاتل للمقتول، أو لبيان عظم الذنب الذي أتى به صاحبه، كما في مخاصمة الله لمن أعطى به وغدر، أو لإقامة عدل الله في الظالمين والكافرين، كما في مخاصمة المخلوقات فيما بينها. أو لإقامة الحجة عليهم، وقطع أعذارهم. أو لزيادة حسرتهم، وعذابهم وكشف حقيقتهم أمام بعضهم. كما في مخاصمة أهل النار، والمرء لأعضائه. وقد تكون الخصومة لمدافعة العذاب عن العبد، والنجاة من النار، كما في تخاصم سورتي البقرة وآل عمران عن صاحبهما. وقد يكون للحصول على فضيلة ومنزلة رفيعة، كما في تخاصم الشهداء مع من مات على فراشة، فيمن مات بالطاعون. وهذه المقاصد قد يجتمع بعضها في خصومة واحدة، وهذا يحدده نوع الخصومة كما سيأتي ذكره.

الرابع: أنواع الخصومة، وحكمها.

الخصومة بين الناس في الدنيا تنقسم إلى نوعين، ولكل نوع حكم شرعي خاص به، بحسب الغرض من الخصومة، والنوعان هما:

١-**خصومة محمودة:** وهي ما كانت لإحقاق حق، ودحض باطل فيكون الغرض منها إثبات الحق وإبطال الباطل، وهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً، بحسب الحال قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل:٤٥] والخصمان هما فريق الحق والهدى،

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

أتباع النبي، وفريق الباطل والضلال أتباع الكفر.[٢٨] وقال تعالى ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾[الحج:١٩] أنها الخصومة بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر، وهي باقية إلى قيام الساعة ، فبعد أن أورد الطبري(ت:٣١٠هـ) الأقوال في تفسير هذه الآية قال: (وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالخصمين جميع الكفار، من أي أصناف الكفر كانوا، وجميع المؤمنين ،وإنما قلت ذلك أولى بالصواب :لأنه تعالى ذكره، ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه ،أحدهما أهل طاعة له بالسجود له، والآخر أهل معصية له قد حق عليه العذاب، فقال ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ثم قال ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما فقال﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾وقال الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ فكان بيّناً بذلك، أن ما بين ذلك خبر عنهما)[٢٩] . قال العز بن عبدالسلام (ت: ٦٦٠هـ) :(الخصام لإظهار الحق أكرم به من خصام يثبت به الحق ويدحض به الباطل وهو إحسان إلى المخاصم بإنقاذه من النار)[٣٠] . وكان من دعاء النبي –ﷺ – إذا تهجد من الليل قوله:(

---

(٢٨) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣ /٢١٤).

(٢٩) جامع البيان في تفسير آي القرآن، الطبري (١٧ /١٣٣).

(٣٠) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبدالسلام (٣١٣).

وبِكَ آمَنتُ وَعَلَيكَ تَوَكَّلتُ وَإِلَيكَ أَنَبتُ وبِكَ خَاصَمتُ وَإِلَيكَ حَاكَمتُ)[٣١] أي خاصمت -بما أعطيتني من البراهين- المعاند وقمعته بالحجة.

٢-خصومة مذمومة: وهي ما كانت لنصرة باطل وطمس حق، فيكون الغرض منها التعنت أو الانتصار للنفس أو للباطل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [ص:٥٨] قال ابن حزم(ت:٤٥٦هـ) :(وإنما ذم تعالى في هذه الآية من خاصم وجادل في الباطل، وعارض الآلهة التي كانوا يعبدون من حجارة لا تعقل بعيسى النبي العبد المؤيد بالمعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك)[٣٢] .

وكثرة الخصومة مذمومة لحديث عائشة- رضي الله عنها- أن النبي-ﷺ – قال:(إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلى اللّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ)[٣٣] . والألد الشديد الخصومة، واللدد: الخصومة الشديدة.[٣٤] . قال ابن رجب(ت:٧٩٥هـ): (فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة، سواء كانت خصومته في الدين أو في الدنيا، على أن ينتصر للباطل ويخيل للسامع أنه حقٌ، ويوهن الحق ويخرجه في صورة الباطل، كان ذلك من أقبح

(٣١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/٢٦٨٩) في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق) ح (٦٩٥٠) .

(٣٢) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم (١ /٢٢).

(٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٨٦٧) في كتاب المظالم، باب قوله تعالى (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) ح (٢٣٢٥).

(٣٤) انظر النهاية في غريب الأثر، ابن الأثير (٤ /٢٤٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المحرمات وأخبث خصال النفاق) [٣٥]. فهذا النوع من الخصومة كما يتضح منهي عنه، ومحرم لما فيه من طمس الحق ونصرة الباطل. روى عبد الله بن عمر-ﷺ- عن رسول الله-ﷺ - حديثًا وفيه أنه قال:(ومَنْ خاصَمَ في بَاطلٍ وهو يعْلَمُهُ، لم يزَلْ في سخَطِ اللّهِ حتى يَنْزعَ عنه) [٣٦].

المبحث الأول: خصومة الله لخلقه.

ذكر الله سبحانه وتعالى أن كل إنسان سيموت، وأن الموت ليس نهاية المطاف، بل هو بداية لحياة أخرى يجازى فيها العبد على ما عمل، وتبدأ الخصومات والتخاصم وبين العباد عند الواحد الديان، قال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣٠،٣١] فعند الله يختصم المؤمنون والكافرون، والمظلومون والظالمون، والضعفاءُ والمستكبرون وغيرهم، ويفصل بينهم رب العزة أجمعين[٣٧]. فالخصومات متنوعة ومتعددة في هذا اليوم العظيم، ومن أعظم الخصومات التي تقع في ذلك اليوم مخاصمة الله لبعض العباد، والذي دلّت عليه السنة الصحيحة كما سيأتي، ومن كان الله خصمه خصمهُ. ومعنى مخاصمة الله للعباد: أي: هو المحاج والمطالب والمنازع لهم سبحانه، على وجه الغلبة [٣٨]. ولا يتعارض مخاصمة الله للظالمين مع ماورد من نصوص شرعية بعدم تكليم الله للظالمين والكافرين يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ

---

(٣٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١ /٤٣٢).

(٣٦) اخرجه أبو داود في سننه (٣/٣٠٥) كتاب الأقضية، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها ح (٣٥٩٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٤٣٧).

(٣٧) انظر جامع البيان، الطبري (٢٤/ ١).

(٣٨) انظر مشارق الأنوار، القاضي عياض (١ /٢٤٣) ؛و التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي (١ / ٤٧٤).

إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لأن كلام الله مع الكافرين نوعان: نوع منفي: وهو كلام اللطف والإكرام لهم، ونوع مثبت: وهو ما كان للتوبيخ والتقريع والإهانة والخسة لهم [٣٩]. والخصومة من هذا النوع. وهؤلاء الذين يخاصمهم الله ــعزوجلــ يوم القيامة، المذكورون في المطالب التالية:

المطلب الأول: مخاصمة الله للظالمين جميعاً.

أعظم وأغلظ مخاصمة، هي مخاصمة الله للعبد، ومن خاصمه الله خصمه، ومن هؤلاء الذين يخاصمهم الله يوم الدين الظالمون، والظلم من أعظم المعاصي وأشدّها عذاباً يوم القيامة، ولبشاعته حرمه الله على نفسه، وعلى العباد فعن أبي ذرٍّ -ﷺ- عن النبي -ﷺ- فِيما روَى عن اللّهِ تبَارَكَ وتَعَالَى أَنَّهُ قال:(يا عِبادِي إني حرَّمْتُ الظّلْمَ على نفْسِي وجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحرَّمًا فلا تظَالَمُوا)[٤٠] . والظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه. [٤١] وهو أنواع ثلاثة: ظلم العبد نفسه بالشرك، وظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله، وظلم العبد لغيره. وأعظم هذه الأنواع ظلم الشرك بالله، ثم ظلم العباد فينما بينهم، وأدناها ظلم العبد نفسه بالمعاصي عدا الكبائر[٤٢] . ويوم القيامة يخاصم الله جميع الظالمين قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣١] أي: تخاصمون بعضكم بعضاً عند الله وتتحاكمون إليه، فيخاصم الظالمين على ظلمهم، ويقتص منهم، قال

---

(٣٩) انظر كتاب التوحيد، ابن مندة (٣٦٥/١)؛و تفسير ابن كثير(٣٧٦/١).

(٤٠) اخرجه مسلم في صحيحه (٤ / ١٩٩٤) في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ح (٢٥٧٧).

(٤١) انظر أحكام القرآن ،لابن العربي (٤/ ٥٠).

(٤٢) انظر الاستقامة، ابن تيمية (١ /٤٦٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

القرطبي(ت:٦٧١هـ) –رحمه الله–:(وقيل تخاصمهم: هو تحاكمهم إلى الله تعالى، فيستوفى من حسنات الظالم بقدر مظلمته، ويردها في حسنات من وجبت له، وهذا عام في جميع المظالم)[٤٣] .

وقال ابن التّين(ت:٦١١هـ) :(هو سبحانه خصم لجميع الظالمين) [٤٤]. وروى أبو هريرة –ﷺ–قال: قال رسول الله –ﷺ –:(يَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ [٤٥] أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. " قَالَ: "فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ، وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي) [٤٦].

ومع أنه سبحانه خصم للظالمين جميعاً، إلا أنه خص أناساً بالذكر والتعين والتصريح؛ بأنه خصمهم يوم القيامة، والمقصد من تلك الخصومة، بيان عظم أفعالهم، وبشاعتها التي احتوت ظلماً عظيماً، استحقت بسببه أن يكون الله خصيمهم يوم القيامة، وهو ما سيرد في المطلبين التاليين.

---

(٤٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٥).

(٤٤) نيل الأوطار ،الشوكاني (٦ /٣٦).

(٤٥) معناه: يا فلان، وهي ليست ترخيما لأنه لا يقال إلا بسكون اللام ولوكان ترخيماً لفتحوها أو ضموها. انظر لسان العرب، ابن منظور (٣٢٥/١٣).

(٤٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٧٩/٤) في كتاب الزهد والرقائق ح (٢٩٦٨)

المطلب الثاني: مخاصمة الله لرجل أعطى به ثم غدر، ورجل باع حراً وأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه حقه.

من الذين يخاصمهم الله تعالى يوم القيامة ثلاثة رجال، جاء تخصيصهم وتعيينهم بأفعالهم في الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ -ﷺ-عن النبي -ﷺ -قال:(قال الله تعَالَى: ثلَاثَةٌ أنا خصْمُهُمْ يوم الْقِيامَةِ رجُلٌ أعْطَى بي ثمَّ غدَرَ، ورَجُلٌ باعَ حرًّا فأَكَلَ ثمَنَهُ، ورَجُلٌ اسْتأْجَرَ أجِيرًا فاسْتَوْفَى منه ولم يعْطِهِ أجْرهَ)[٤٧] .وخص هؤلاء الثلاثة بالذكر لشدة جرمهم، قال المناوي(ت:١٠٣١) ــرحمه اللهــ :(ذكر الثلاثة ليس للتقييد فإنه خصم كل ظالم، لكنه أراد التغليظ عليهم لغرابة قبح فعلهم)[٤٨] ، فتولى الله سبحانه مخاصمتهم يوم القيامة نيابة عمن ظلموه. والمطالبة لهم بما اكتسبوه[٤٩] .وأول هؤلاء الثلاثة من أعطى العهد والمواثيق باسم الله وحلف، ثم لم يوف عهده ونقضه، وكل من شرط شرطاً ثم نقضه فقد غدر، فقد جاء الكتاب والسنة بالأمر بالوفاء بالعهود والشروط والمواثيق والعقود، وبأداء الأمانة ورعاية ذلك، والنهي عن الغدر ونقض العهود والخيانة والتشديد على من يفعل ذلك، واستحق الخصومة من الله لأنه هتك حرمة اسم الله تعالى[٥٠] . والصنف الثاني: من باع حراً فأكل ثمنه، والحر ضد العبد، والمعنى باعه عالماً متعمداً، وانتفع به على أي وجه كان، وخص الأكل لأنه أخص المنافع، وذلك لأن من باع حراً، فهو غاصب لعبد الله الذي ليس لأحد غير الله عليه سبيل، وذلك لأن المسلمين أكفاء في الحرية فمن باع حراً فقد منعه التصرف فيما أبيح له وألزمه الذل والصغار الذي أنقذه الله منه، وهذا من أظلم

---

(٤٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢/٧٧٦) في البيوع؛ باب إثم من باع حراً ح (٢١١٤) .

(٤٨) فيض القدير (٣ /٣١٥).

(٤٩) انظر مشارق الأنوار، القاضي عياض (٢٤٣/١).

(٥٠) انظر الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (٣ /٤٨٠) ؛ وسبل السلام شرح بلوغ المرام، الصنعاني (٨٠/٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الظلم، والحر عبد الله فمن جنى عليه فخصمه سيده. والثالث: من استأجر أجيراً فاستوفى منه، ولم يعطه أجره، فهو داخل في معنى من باع حرًا؛ لأنه استخدمه بغير أجرة، واستوفى منفعته بغير عوض، فكأنه استعبده، وهذا أيضا ظلم عظيم(٥١) .

المطلب الثالث: مخاصمة الله لمَن ظلم معاهداً، أو انْتَقَصَهُ، أو كَلَّفَهُ فوق طاقته، أو أَخَذَ منه شيئا بغير طيب نَفْسٍ.

يخطئ البعض عندما يعتقد أن علاقة المسلم بالكافر هي علاقة عنف وشدة وغلظة بإطلاق، وهو خلاف هدي النبي -ﷺ -في التعامل مع الكفار، فقد وضع -ﷺ -آداباً وضوابطاً تقوم عليها العلاقة مع الكفار والمعاهدين والذميين، والتعامل معهم، وهي آداب وضوابط مبنية على أساس العدل وعدم الظلم، كما قال الله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]. وقد أفرد العلماء مصنفات في بيان أحكام أهل الذمة، وطرق التعامل معهم، وليس هذا مقام عرضها، والذي يعنينا من ذلك هو أن من الذين يخاصمهم الله يوم القيامة؛ من ظلم معاهداً أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير رضى منه، وطيب نفس. ودليل ذلك ما رواه أصْحَاب رسول اللّهِ -ﷺ - عن رسول اللّهِ -ﷺ - أنه قال:(أَلَا من ظَلَمَ معَاهِدًا أو انتَقَصَهُ أو كَلَّفَهُ فَوقَ طَاقَتِهِ أو أَخَذَ منه شيئا بغَيْرِ طيبِ نَفسٍ فأَنَا حَجِيجهُ يوم الْقيَامَةِ)(٥٢) . ومعنى حجيجه: أي خصمه ومحاجه ومغالبه بإظهار الحجج

(٥١) انظر التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي (١٨٣/٢) ؛وفيض القدير، المناوي (٣ / ٣١٦) ؛ وشرح صحيح البخاري، ابن بطال (٦/ ٣٤٩).

(٥٢) اخرجه أبو داود في سننه (١٧٠/٣) في كتاب الخراج والإمارة والفيء باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في الديات ح (٣٠٥٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٣٠٥٢).

عليه، بالدليل والبرهان[٥٣] . والمقصد من الخصومة: بيان عظم الذنب الذي وقعوا فيه، حتى استحقوا أن يحاجهم الله يوم القيامة، ويحاج عن هؤلاء، ويخاصم من فعل ذلك، ويأخذ حق هؤلاء منهم. فهذا الحديث فيه وعيد شديد، وتصريح بعدم التعرض للذميين بشيء من أنواع الأذى في النفس والمال، أو تكلفته ما لا يطيق، لأن هذا من الظلم لهم، والله حرم ظلم الكافر وغيره، وعقد الذمة ألحق هؤلاء الكفار بالمسلمين في العصمة، فإذا أخلّ أحد من أهل الإسلام بالعقد، وقع تحت طائلة هذا الوعيد الشديد.

المطلب الرابع: مخاصمة الله للمرائين.

الإخلاص هو أساس كل عمل، وتحققه شرط في قبوله،مع كونه صواباً، والعمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، وذلك تحقيق قوله تعالى ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف:١١٠] [٥٤] ، وعن مَحْمودِ بن لَبيدٍ–ﷺ–قال: قال رسول اللّهِ –ﷺ –:(إن أخْوَفَ ما أخَافُ علَيْكُمُ الشّرْكُ الأصْغَرُ، قالوا يا رسُولَ اللّهِ: وما الشّرْكُ الأصْغَرُ، قال: الرّيَاءُ، إن اللّهَ تبارَكَ وتَعَالَى يقول يوم تُجازَى الْعبَادُ بأَعْمَالِهِمُ : اذْهبُوا إلى الّذينَ كُنتُمْ تراؤون بأَعْمَالِكُمْ في الدُّنْيا فانْظُرُوا هل تَجِدُونَ عنْدَهُمْ جزَاءً)[٥٥] . والرِّياء شرك أصغر وكبيرةٌ مِن أعظم الكبائر، وهو: أن يعمل عملًا مما يُتقرَّب به إلى الله يُريد به ثناء

---

(٣٥)انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود العظيم آبادي (٢١١/٨).

(٥٤) انظر مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٣٣/١).

(٥٥) اخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ /٤٢٩) ح (٢٣٦٨٥) ،قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٢/١): (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح) وحسنه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند رقم (٢٣٦٣١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الناس عليه[٥٦]. وقد توعد الله-ﷻ -المرائين بالويل والثبور فقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾[الماعون:٤-٧] .

ولعظم الرياء فإن الله- ﷻ-هو خصيم المرائين يوم القيامة، والمقصد من خصومته لهم: فضح سرائرهم، وإظهار حقيقة قصدهم، وبيان بشاعة جرمهم، تنكيلاً بهم، ثم يأمر بهم إلى النار، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-فقال: حدثني رسول اللّهِ -ﷺ -:(إن اللّهَ تبَارَكَ وتَعَالَى إذا كان يَومُ القِيَامَةِ، يَنزِلُ إلى العِبَادِ لِيَقضِيَ بَينَهُمْ، وكُلُّ أمة جاثِيَةٌ، فأَوَّلُ من يَدعُو بهِ رجُلٌ جمَعَ القُرْآنَ، ورَجُلٌ يَقتَتِلُ في سبِيلِ اللّهِ، ورَجُلٌ كثِيرُ الْمالِ، فيقول الله لِلْقارِئِ: أَلَمْ أُعلِّمْكَ ما أَنْزَلْتُ على رسُولِي؟ قال: بلَى يا ربِّ، قال: فمَاذَا عمِلْتَ فِيما علِّمْتَ؟ قال :كنت أقُومُ بهِ آناء اللّيْلِ وآناء النّهَارِ، فيقول الله له :كذَبْتَ، وتَقُولُ له الْملَائِكَةُ: كذَبْتَ، ويَقُولُ الله: بلْ أرَدْتَ أنْ يُقالَ: إنَّ فُلانًا قارِئٌ، فقَدْ قيلَ ذاكَ، ويُؤْتَى بِصاحِبِ الْمالِ، فيقول الله له: أَلَمْ أُوسِّعْ علَيْكَ حتى لم أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إلى أحَدٍ، قال: بلَى يا ربِّ، قال: فمَاذَا عمِلْتَ فِيما آتيْتُكَ؟ قال: كنت أصِلُ الرّحِمَ وأَتَصَدَّقُ، فيقول الله له :كذَبْتَ، وتَقُولُ له الْملَائِكَةُ: كذَبْتَ، ويَقُولُ الله تعَالَى: بلْ أرَدْتَ أنْ يُقالَ فُلانٌ جوَادٌ، فقَدْ قيلَ ذاكَ، ويُؤْتَى بِالّذِي قتِلَ في سبِيلِ اللّهِ، فيقول الله له: في ماذَا قتِلْتَ؟ فيقول: أُمِرْتُ بِالْجِهادِ في سبِيلِكَ فقَاتَلْتُ حتى قتِلْتُ، فيقول الله تعَالَى له: كذَبْتَ، وتَقُولُ له الْملَائِكَةُ: كَذَبتَ، وَيَقولُ الله: بلْ أَرَدتَ أنْ يقَالَ فلَانٌ جريء فقَدْ قيلَ ذاكَ، ثمَّ ضرَبَ رسول اللّهِ -ﷺ – على رُكْبَتِي، فقال: يا أبَا هرَيْرَةَ، أولَئِكَ الثّلَاثَةُ أوَّلُ خَلقِ اللّهِ تسَعَّرُ بهِمْ النّارُ يوم الْقيَامَةِ) [٥٧].قال النووي(ت: ٦٧٦) -رحمه الله-: (قوله -ﷺ -في الغازي والعالم والجواد، وعقابهم على

---

(٥٦) انظر تفسير القرطبي (٢٠/ ٢١٢).

(٥٧) اخرجه مسلم في صحيحه (١٥١٣/٣) في كتاب الإمارة ،باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ح (١٩٠٤). والترمذي في سننه (٤ /٥٩٢) في كتاب الزهد، باب في الرياء والسمعة ح (٢٣٨٢) واللفظ له.

فعلهم ذلك لغير الله، وإدخالهم النار دليلٌ على تغليظ تحريم الرِّياء وشدة عقوبته، وعلى الحثِّ على وجوب الإخلاص في الأعمال) [٥٨].

المبحث الثاني: خصومة الخلق بعضهم لبعض.

من الخصومات التي تكون يوم القيامة مخاصمة الخلق بعضهم لبعض، ولكل خصومة مقصد خاص بها، يختلف بحسب نوع الخصومة، فقد تكون لاستيفاء الحقوق فيما بينهم، أو لعله يعذر بذنبه فينجو من العذاب، أو لشدة الحسرة التي يجدونها في قلوبهم؛ بسبب طغيانهم وإطاعتهم غير الله، وكراهتيهم لمن أضلوهم، ومقتهم لهم، وفي المطالب التالية ذكر لهذه الخصومات:

المطلب الأول: مخاصمة الجار لجاره.

للجار حق عظيم وصى به الله –عزوجل– في محكم التنزيل فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ﴾[الأنعام:٣٦] وقال –ﷺ –:(من كان يُؤْمنُ باللَّهِ والْيَوْمِ الْآخرِ فلا يُؤْذي جارَهُ)[٥٩].فجعل الإحسان إلى الجار من علامة كمال الإيمان، كما أن إيذاءه نقص في الإيمان، ويُنقِص من إيمان المرء بقدر إيذائه لجاره، قال النبي –ﷺ –: (وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ. قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ

---

(٥٨) شرح النووي على صحيح مسلم (٥١/١٣).

(٥٩) اخرجه البخاري في صحيحه (١٩٨٧/٥) في كتاب النكاح ،باب الوصاة بالنساء ح (٥٨٩٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

بَوَائِقَه) [٦٠] أي: غوائلَه وشرَّه وظُلمَه. والجيران ثلاثة: فجار له ثلاثة حقوق، وجار له حقان، وجار له حق واحد، فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق: فالجار المسلم القريب له حق الجوار وحق القرابة، وحق الإسلام، والجار الذي له حقان: فهو الجار المسلم، فله حق الإسلام، وحق الجوار، والجار الذي له حق واحد هو: الكافر له حق الجوار [٦١]. ومن حق الجار تفقده، وقضاء حوائجه، وستره وصيانة عرضه، والتودد إليه بالهدية، والقول اللطيف، وكف جميع الأذى عنه. ومن لم يؤد حق جاره، ويحسن جواره، فإنه سيكون خصيمه يوم القيامة عند الله، روى عقبة بن عامر –رضي الله عنه–عن رسول الله–ﷺ – أنه قال :(أولُ خَصمَينِ يومَ القيامةِ جارَانِ) [٦٢] .ومقصود الحديث، الحث على كف الأذى عن الجار وإن جار، والمقصد من الخصومة: بيان عظم حق الجار، وعظم ظلمه، واستحقاق الوعيد الغليظ لمن ظلم جاره، حتى أن الله سبحانه تعالى سيهتم بشأنه يوم القيامة، ويتولى أمره، فيكونان من أوائل من يختصمون عنده، حيث يخاصم الجار المظلوم جاره الظالم إلى الله، فينتقم للجار المظلوم من الظالم، ويفصل القضاء بينهما [٦٣]. وهذا يدل على حرص الإسلام على ترابط المجتمع، وتلاحم أفراده فيما بينهم.

---

(٦٠) اخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢٢٤٠) في كتاب الأدب، باب أثم من لا يأمن جاره بوائقه ح (٥٦٧٠).

(٦١) انظر تفسير القرطبي (٥ /١٨٤).

(٦٢) اخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥١/٤) ح (١٧٤١٠) ؛ والطبراني في المعجم الكبير (٣٠٣/١٧) ،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/٨) :(رواه أحمد والطبراني بنحوه وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير أبي عشانة، وهو ثقة) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٢٥٥٧).

(٦٣) انظر فيض القدير، المناوي (٣ / ٨٥).

المطلب الثاني: مخاصمة الظالمين بعضهم لبعض.

سيجتمع جميع الخصوم يوم القيامة، وجميع المظلومين والظالمين، ويختصمون عند الله- ﷻ-، ويفصل بينهم، ويقتص لبعضهم من بعض، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣١]عن عبد اللّهِ بن الزُّبَيرِ -رضي الله عنه-عن أبيه قال: لما نزلَتْ : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال الزُّبيْرُ: يا رسُولَ اللّهِ أتُكَرَّرُ علَيْنَا الْخُصُومةُ بعْدَ الذي كان بيْنَنَا في الدُّنْيا، قال: نعم فقال إنَّ الْأَمْرَ إذًا لشَدِيدٌ)[٦٤] قال الطبري(ت: ٣١٠هـ) بعد أن أورد جميع الأقوال في تفسير هذه الآية:(وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: عني بذلك إنك يا محمد ستموت، وإنكم أيها الناس ستموتون، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم، مؤمنكم وكافركم ،ومحقوكم ومبطلوكم، وظالموكم ومظلموكم؛ حتى يؤخذ لكل منكم ممن لصاحبه قبله حق حقه. وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب: لأن الله عم بقوله ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ خطاب جميع عباده، فلم يخصص بذلك منهم بعضاً دون بعض، فذلك على عمومه على ما عمه الله به)[٦٥]. وعن أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-قال: قال رسول اللّهِ -ﷺ -:(ألا والذي نفسي بيده ليَخْتَصِمَنَّ كلُّ شيء يوم الْقِيامَةِ حتى الشّاتَانِ فِيما انْتطَحَتَا)[٦٦] .فكل مظلوم سيخاصم يوم القيامة ظالمه. لأن يوم القيامة يوم فصل بين الخلائق أجمعين.

---

(٦٤) اخرجه الترمذي في سننه (٥/٣٧٠) في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزمر ح (٣٢٣٦) وقال: حديث حسن صحيح؛ وحسنه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٣٢٣٦).

(٦٥) جامع البيان في تفسير القرآن (٢٤ / ٢).

(٦٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٣٩٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٤٩): إسناده حسن. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/١١٦): إسناده حسن في المتابعات.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المطلب الثالث: مخاصمة الشهداء والمتوفين على فرشهم، في الذين يتوفون من الطاعون.

يتنافس الناس يوم القيامة على نيل الدرجات الرفيعة، ويسعون للبحث عنها، ويتخاصمون ويتجادلون في ذلك ومن تلك الخصومات، خصومة تقع بين الشهداء والمتوفين على فرشهم، في الذين يتوفون من مرض الطاعون لكي ينالوا أجرهم، فعن الْعِرْباضِ بن سارِيَةَ –رضي الله عنه– أنَّ رسُولَ اللّهِ –ﷺ –قال:(يخْتَصِمُ الشُّهَدَاءُ والْمُتَوَفَّوْنَ على فرُشِهِمْ إلى ربِّنَا، في الّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ من الطَّاعونِ، فيقول الشّهَدَاءُ: إخْوَاننَا قتِلُوا كما قتِلْنَا، وَيَقولُ الْمتَوَفَّوْنَ على فرُشِهِمْ: إخْوَاننَا مَاتوا على فرُشِهِمْ كما متْنَا، فيقول رَبّنَا انْظرُوا إلى جرَاحِهِمْ فَإِنْ أَشبَهَ جِرَاحهُمْ جرَاحَ الْمَقْتولِينَ فَإِنَّهُمْ منهم وَمَعَهمْ فإذا جِرَاحهُمْ قد أَشبَهَتْ جِرَاحَهمْ)[٦٧] .ففي هذا الحديثِ يخبرنا النَّبيُّ –ﷺ–: بخصومة وتنازع تحدث بين الشهداء الَّذين قُتِلوا في سَبيلِ اللهِ، وكل من مات على فِراشِه وهم أَعَمُّ ممَّن لهم حُكمُ الشَّهادةِ، كالمبطونِ والغَريقِ وصاحبِ الهَدمِ وغيرِهم، ممَّن ورَد في حقِّهم أنَّهم شُهداءُ، وخصومتهم تكون في الذين ماتوا بسبب مرض الطاعون، مُتوجِّهين بخِلافِهم وخُصومَتِهم إلى اللهِ –عز وجل –ليَفصِلَ فيها، والدافع لهذه الخصومة، طمع من ماتوا على فرشهم في نيل درجة الشهداء، التي نالها من ماتوا من الطاعون، حيث ماتوا على فراشهم كموتهم. ويدافِعُ الشُّهداءُ عمَّن مات بالطَّاعونِ، بأن قَتَلَهم كان كمِثلِ قَتْلِهم، فاستحَقُّوا مِثلَ درجَتِهم في الجنَّةِ، ومقصود الشهداء بذلك، إلحاق المطعون معهم ورفع درجته إلى درجاتهم، وأما الأموات على الفرش، فلعله ليس مقصودهم أصالة أن لا ترفع درجة المطعون إلى درجات الشهداء، فإنّ ذلك حسد مذموم، وهو منزوع عن القلوب في تلك الدار، وإنما مرادهم أن ينالوا درجات الشهداء، كما نال المطعون مع موته على الفراش، فمعنى قولهم : (إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا) أي: فإن نالوا مع ذلك درجات الشهداء، ينبغي أن ننالها أيضا.

---

(٦٧) أخرجه النسائي في سننه (٦ / ٣٧) في كتاب الشهداء مسالة الشهادة ح (٣١٦٤) ؛وقال ابن حجر في فتح الباري (١٩٤/١٠)"أسناده حسن"، وصححه الألباني في صحيح النسائي رقم (٣١٦٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وعلى هذا فينبغي أن يعتبر هذا الخصام خارج الجنة، لأن الله يقول : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾[فصلت:٣١] فينبغي أن ينال درجة الشهداء من يشتهيها في الجنة، والظاهر والله أعلم: أن الله تعالى ينزع من قلب كل أحد في الجنة اشتهاء درجة من فوقه ويرضيه بدرجته [٦٨] .ثم يحسم الله -عَزَّ وَجَلَّ-هذا التخاصم والمنازعة بينهم، بالنظر إلى جراحهم، فإن تشابهت ألحقوا بهم في الأجر، فإذا جراح أصحاب الطاعون تشبه جراح من قتل في سبيل الله، فيلحقهم الله بهم قال القاضي البيضاوي (ت: ٦٨٥): (من مات بالطاعون أو بوجع البطن؛ ملحق بمن قتل في سبيل الله، لمشاركته إياه في بعض ما يناله من الكرامة، بسبب ما كابده من الشدة، لا في جملة الأحكام والفضائل) [٦٩].

المطلب الرابع: مخاصمة المقتول للقاتل.

الدماء عند الله لها شأن عظيم، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق كبيرة من أكبر الكبائر قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا*يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[الفرقان:٦٨،٦٩] ويعظم الجرم حين تكون هذه النفس مؤمنة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [الأنعام:٩٣]،فلا شك أن حرمة دم المسلم أعظم عند الله -تعالى- من حرمة الكعبة، بل زوال الدنيا أهون عند الله من قتل المسلم، فعن عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال رأيت رسول الله -ﷺ -يطوف بالكعبة

(٦٨) انظر حاشية السندي على سنن النسائي، (٦/ ٣٨).

(٦٩) عمدة القاري، العيني (٢١ /٢٦١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وَيَقُولُ:(ما أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ ما أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ مَالِهِ ودمه وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إلا خَيْرًا)[٧٠] ، وعن البراء بن عازب –رضي الله عنه–أن رسول الله –ﷺ –قال: (لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ على اللَّهِ من قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ)[٧١] ،وقد تواترت الأحاديث الدالة على هذا المعنى، وفيها من الترهيب ما يردع كل إنسان عن الإقدام على سفك الدم الحرام. ولعظم شأن الدماء فإنها أول ما يقضى فيه بين العباد يوم القيامة، فعن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–قال: قال رسول الله–ﷺ –:(أَوَّلُ ما يقْضَى بين الناس يوم الْقِيَامَةِ في الدِّمَاءِ) [٧٢]. ويبدأ هذا القضاء، بمخاصمة المقتول للقاتل، أخذاً بيده يخاصمه إلى الله، ويشكوه إليه ليقتص له منه، وهذا مقصد المخاصمة، فيستمع الله لمخاصمته، ويدنيه من عرشه سبحانه، ويسأل القاتل عن سبب قتله، فعن ابن عبَّاسٍ–رضي الله عنه–عن النبي –ﷺ –قال:(يجيء المَقْتُولُ بِالقَاتِلِ يوم القِيَامَةِ ناصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بيده، وَأَوداجُهُ تَشخَبُ دمًا، يقول: يا ربِّ هذا قتَلَني، حتى يُدنِيَهُ من العَرْشِ، قال: فذَكَرُوا لابن عبَّاسٍ التَّوبَةَ فتَلَا هذه الآيَةَ : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ قال: وما نُسِختْ هذه الآيَةُ ولا بُدِّلتْ وأَنَّى له التّوْبَةُ)[٧٣] وروى عبد اللّهِ بن مَسعُودٍ–رضي الله عنه–عن النبي –ﷺ –قال:(يجِيءُ الرّجُلُ آخذًا بِيدِ الرّجُلِ، فيقول: يا ربِّ هذا قتَلَني، فيقول الله له: لمَ

---

(٧٠) اخرجه ابن ماجه في سننه (٢ / ١٢٩٧) كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله ح (٣٢٣٩) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢/٦٣٠).

(٧١)اخرجه ابن ماجه في سننه (٢ / ٨٧٤) في كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلماً ظلماً ح (٢٦١٩) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢/٦٣٠).

(٧٢) اخرجه مسلم في صحيحه (٣/١٣٠٤) في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب المجازة في الدماء في الآخرة ح (١٦٧٨).

(٧٣) اخرجه الترمذي في سننه (٥ /٢٤٠) في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء ح (٣٠٢٩) وقال: حسن غريب؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦/٣٢٤) رقم (٧٨٨٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قَتَلتَهُ ؟ فيقول: قَتَلتُهُ لِتكُونَ العِزَّةُ لك، فيقول: فإنها لي، ويَجِيءُ الرّجُلُ آخذًا بِيدِ الرّجُلِ، فيقول: إنَّ هذا قتَلَنِي، فيقول الله له: لِمَ قَتَلتَهُ؟ فيقول لِتكُونَ العِزَّةُ لِفُلانٍ، فيقول: إِنّهَا لَيسَتْ لِفُلانٍ فيَبُوءُ بِإِثمِهِ) [٧٤]. مخاصمة عظيمة عند الحق سبحانه، يقتص فيها المقتول من القاتل.

المطلب الخامس: مخاصمة أهل النار.

يوم القيامة لا ينفع الكفّار معذرتهم، ولا يجاب طلبهم بالرجوع للدنيا، لتصحيح مسيرهم؛ وتغيير طريقهم من الضلال للهدى؛ ومن العصيان للطاعة وإنما يزجون بالنار جميعاً، رئيسهم الأكبر إبليس ومرؤوسهم، ومستكبرهم وضعيفهم، وتابعهم ومتبعوهم، ومعبودهم وعابديهم، فإذا اجتمع أولهم وآخرهم، وأنسهم وجنهم في النار، بدأوا يتخاصمون فيما بينهم، ويتحاجون فيها جميعاً، ويتبرأ كل منهم من الآخر، ويكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٢٥] وهذه الخصومات التي تقع بينهم تختلف مواضعها، فبعضها في أرض المحشر في مواقف عدة، وبعضها داخل النار، عند أول دخولها، وبعد المكث فيها، ويخبرنا الله- ﷻ-في محكم التنزيل عن تلك الخصومات التي تكون بين أهل النار،[٧٥] وهي:

١-مخاصمة العابدين لمعبوديهم.

---

(٧٤) اخرجه النسائي في سننه (٧ / ٨٤) كتاب تحريم الدم ، باب في تعظيم الدماء ح (٣٣٩٧) ،وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٦٩٨).

(٧٥) انظر هذه الخصومات في كتاب القيامة الكبرى (١١٦-١٢٥) د. عمر الأشقر.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

عندما يرى المشركون والكفار آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، يصرخون منادين ربهم أن هذه معبوداتهم التي عبدوها في الدنيا، فيكذبونهم في دعواهم ،ويتبرؤون منهم، قال تعالى :﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَاءهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَؤُلاء شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ *وَأَلْقَوْاْ إِلَى اللّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [النحل:٨٦،٨٧]، فتقع الخصومة بين العابدين ومعبوداتهم، عند أول رؤيتهم لبعض، ويكذب المعبودون العابدين باتخاذهم آلهة دون الله، ومقصد الخصومة: رد اللائمة عن الأتباع ، ومحاولة الخلاص من الذنب، بإحالته للشركاء. ثم يحشر العابدين مع معبوديهم، ويتخاصمون فيما بينهم في النار، ويعترف الغاوون بضلالهم وغوايتهم، ويتحسرون أنهم سووا هذه الآلهة برب العالمين، راجعين بالملامة على المجرمين الذين أضلوهم فأطاعوهم قال تعالى:﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ *فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ *وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[الشعراء:٩١–١٠١] وهذا التخاصم من جملة أنواع العذاب لهم، وإظهار حقد العابدين وجزعهم على المعبودين، إضافة لتلاعنهم وتباغضهم، وتبرؤ بعضهم من بعض، ودعاء بعضهم على بعض بمضاعفة العذاب، وهذا من جملة تخاصمهم عندما يكتمل اجتماعهم في النار، كما قال الله تعالى :﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ

بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾[الأعراف:٨٣،٨٤][٧٦] .فأولاهم: هم القادة المعبودون، وأخراهم: العابدون الأتباع، لأن القادة المعبودين، يدخلون النار أولاً. وهذا التخاصم مقصده: تشفي صدور العابدين، بزيادة عذاب المعبودين لأنهم سبب تعذيبهم في النار [٧٧].

٢ –مخاصمة الأتباع لسادتهم وقادة الضلال.

من جملة تخاصم أهل النار، التخاصم بين الاتباع، وقادة الضلال ودعاة الانحراف، حيث بان الحق، واتضح الباطل، فيلوم الأتباع قادة الضلال؛ بأنهم زينوا لهم الباطل ونهوهم عن اتباع الحق، والصراط المستقيم، وحالوا بينهم وبين الخير، وردوهم عن الإسلام، فيجيبهم قادة الضلال:بأنهم لم يكن لهم عليهم سلطان، ولم يجبروهم على الضلال، بل كانوا قوما طاغين،وعن عبادة الله مستكبرين،ولأمره مخالفين،[٧٨] قال تعالى : ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ * وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ * قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ *وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ * فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ * فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ

---

(٧٦) انظر التخويف من النار،ابن رجب الحنبلي (١ / ١٠٠).

(٧٧) انظر جامع البيان في تفسير آي القران، الطبري (٤١٧/١٢) ؛و تفسير البغوي (٢ /١٥٩).

(٧٨) انظر المرجع السابق (٥٠/٢٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

بِالْمُجْرِمِينَ *إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[الصافات:١٩-٣٥] هذه المخاصمة مقصدها: الرجوع بالملامة على السادة وقادة الضلال، وتوبيخهم على جهة التذنيب لهم، مما يجدونه من حسرة في قلوبهم بسبب تعذيبهم. وتزيدحسرة إلى حسرتهم، عندما يتبرؤون منهم، ويتخلون عنهم ثم يحشرون جميعاً بنار جهنم، قال تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[البقرة:١٦٦،١٦٧].

٣-مخاصمة الضعفاء لساداتهم.

نهى الله عن طاعة المخلوق أيا كان في معصية الخالق -سبحانه-، فلا السادة ولا الملوك ولا القادة يغنون من عذاب الله شيئاً، ومن أطاعهم في معصيته، وأعانهم على باطلهم، فلا عذر له عند ربه، وعندما يوقفون عند ربهم يتبرأ هؤلاء السادة من المستضعفين، وينكرون أن لهم يد بضلالهم وانحرافهم عن النهج القويم، ويرجعون ضلالهم إلى إجرامهم، وأنهم مجرد دعاة، لقوا من المستضعفين الاستجابة، فيردون عليهم المستضعفين :بأن ضلالهم بسبب مكرهم بالليل والنهار من أجل غوايتهم، وقد تحقق لهم مايريدون فجعلوا لله أندادا، وكفروا به سبحانه، قال تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ

لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:٣٣-٣٠]. ويطلب الضعفاء من السادة المستكبرين أن يتحملوا العذاب عنهم ؛ لطاعتهم لهم في الدنيا واتباعهم سبيلهم، ويأتي الرفض من السادة ،بأنهم لم يهدوا أنفسهم حتى يهدوهم، فلن يغني اليوم الجزع أو الصبر فالعذاب واقع بهم لا محيص عنه قال تعالى:﴿ وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾[إبراهيم:٢١] وتزيد حسرة الضعفاء عند رؤية ساداتهم، فيبادرونهم بقولهم:لا مرحبا بكم، ويطلبون من الله أن يضاعف لهم العذاب بسبب غوايتهم لهم،ويتساءلون عن أناس كانوا معهم في الدنيا ويظنونهم من أشرارهم، وكانوا يسخرون منهم لضعفهم، فمالهم لايرونهم الآن معهم في النار، قال تعالى:﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ * هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ * هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ * قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ * قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ * وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ *إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[ص:٥٥-٦٤] في هذا التخاصم يرد الضعفاء على سادتهم، والذين كانوا في الدنيا لايستطيعون الرد عليهم، بأسلوب فض، ينم عن غضبهم عليهم(بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ) ومقصد الخصومة: هو نفس ما ذكر في تخاصم الأتباع مع السادة.ثم يقول الحق

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

سبحانه: بإنّ هذا الذي أخبرتكم أيها الناس من الخبر عن تراجع أهل النار، ولعن بعضهم بعضاً ،ودعاء بعضهم على بعض في النار، لحق يقين، فلا تشكوا في ذلك، ولكن استيقنوه [٧٩].

٤-مخاصمة إبليس لأتباعه بعد ختام الحساب.

يختم مشهد الخصومات بين أهل النار،بإعلان إبليس براءته التامة من جميع من أطاعه واتبعه،واستجاب له، ويدعوهم لتأنيب أنفسهم على طاعتهم له، معلناً براءته منهم، وتخليه عنهم، وعن جميع شركهم وآلهتهم، مما يزيد من حسراتهم حتى يبلغ مقتهم لأنفسهم منتهاه[٨٠] وهذا هو المقصد من خصومته لهم، قال تعالى ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [إبراهيم:٢٢] . ومعنى مصرخكم:أي بمغيثكم، والصارخ هو الذي يطلب النصرة والمعاونة، فيقول إبليس:فلن أنصركم ولن تنصروني، كل له عذابه في النار[٨١]. قال السعدي(ت:١٣٧٦هـ):(وأعلم أن الله ذكر في هذه الآية ، أن الشيطان ليس له سلطان، ...فالسلطان الذي نفاه عنه ، هو سلطان الحجة والدليل ، فليس له حجة أصلا، على ما يدعو إليه، وإنما نهاية ذلك، أن يقيم لهم من الشبه والتزيينات، ما به يتجرؤون على المعاصي . وأما السلطان الذي أثبته، فهو التسلط بالإغراء على المعاصي لأوليائه يؤزهم إلى المعاصي أزا، وهم الذين سلطوه على أنفسهم، بموالاته، والالتحاق بحزبه، ولهذا ليس له

---

(٧٩) انظر جامع البيان في تفسيرآي القران، الطبري (٢٣ / ١٨٢).

(٨٠) انظر المرجع السابق (١٣/ ٢٠٢).

(٨١) انظر تفسير القرطبي(٩ /٣٥٧).

سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)[٨٢] .هذا هو تخاصم أهل النار، أخبرنا الله به ،فيجب الإيمان به كما أخبر.

المطلب السادس: مخاصمة المرء قرينه الشيطاني.

اقتضت سنة الله أن يبتلي عباده ليميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من الكافر، فجعل مع كل إنسان قرين شيطاني منذ ولادته حتى مماته، يغويه ويوسوس له بكل شر، وفحشاء ومنكر، ويؤزه للمعاصي أزاً. وعدلاً منه سبحانه ورحمة بالعبد، جعل أيضاً معه قرين ملكي، يدعوه للخير، ويأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، فتمت به الموازنة، وأصبح العبد بين داعي شر، وداعي خير، يغلب أحياناً أحدهما على الآخر بحسب إيمان العبد، وأعماله الصالحة، وبمقدار قربه وبعده عن الله سبحانه. ودليل ذلك ما رواه عبد اللّهِ بن مَسعُودٍ –ﷺ–قال: قال رسول اللّهِ –ﷺ–: (ما مِنكُمْ من أحَدٍ إلا وقد وكِّلَ بهِ قرِينُهُ من الجِنِّ قالوا وإيَّاكَ يا رسُولَ اللّهِ قال وإيَّايَ إلا أنَّ اللّهَ أعَانَنِي عليه فَأَسلَمَ فلا يَأمُرُنِي إلا بِخَيرٍ)[٨٣]. وفي رواية لمسلم:(وقد وكِّلَ بهِ قرِينُهُ من الجِنِّ وقَرِينُهُ من المِلَائِكَةِ)[٨٤]. وكلما زاد العبد بعداً عن الله، تسلط عليه قرينه الشيطاني في الغواية والضلالة والصد عن سبيل الله قال تعالى : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[الزخرف :٣٥–٣٧] وفي يوم القيامة يجتمع المرء مع قرينه الشيطاني، فيتخاصمان فأول ما يراه العاصي والكافر، يقول: ياليت بيني وبينك مثل مطلع

---

(٨٢) تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (١ /٤٢٥)

(٨٣)أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢١٦٧) في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعث سرايه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرين، ح (٢٨١٤).

(٨٤) سبق تخريجه أعلاه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الشمس ومغربها، فبئس القرين أنت، قال ذلك لأنه أورده النار، وكلاهما فيها[٨٥] . وتبدأ المخاصمة بينهما عند الله سبحانه وتعالى، فيرجع الكافر والعاصي ضلاله وطغيانه إلى القرين، فبه ضل، وبوسوسته عتى وتمرد، عندها يتبرأ القرين من ذلك، وينفي غوايته له، ويعلن أنه كان في الأصل ضال، وعن شرع الله ومنهاجه بعيد، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ *قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ *مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ق:٢٣-٢٩] .

وهذه الخصومة مقصدها: الاعتذار لله، ومحاولة تنصل المرء من عصيانه وطغيانه، وإسناد سبب ذلك للقرين، طمعاً في التخلص من عذاب الله. فيخاصمه القرين، ويعتذر لله، بأنه لم يطغيه ويغويه. وينهي الله تلك الخصومة بينهما: بعدم قبول اعتذارهما، وأنه لا عذر لأي أحد منهما، حيث أرسل لهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، يدعونهم لعبادة الله وحده لا شريك له. وأن القول لديه سبحانه لا يبدل، فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها، وقيل القول هو قوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩]، وما يكذب القول لديه سبحانه، فما يزاد في القول ولا ينقص لعلمه بالغيب. ثم يختم الله خطابه لهم: بأن ما هم فيه من العذاب عدل منه سبحانه، فلم يظلمهم، لأنه لا يعذب إلا من أجرم[٨٦] .

---

(٨٥) انظر تفسير القرطبي (٩١/١٦).

(٨٦) انظر المرجع السابق (١٧ / ١٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المطلب السابع: مخاصمة المرء أعضاءه.

إن أشد ألم يجده الكافر والعاصي يوم القيامة، عندما تخاصمه أعضاؤه التي ينافح عنها العذاب،ويجادل من أجلها لتنجو من سخط الله، فيكون الشاهد عليه من نفسه، فيعترض عليها متعجباً، وعن سبب نطقها مستفهماً، فيأتيه الجواب منها، أن الله هو من أنطقها،وشهادة الجوارح على المرء وردت في القرآن في ثلاثة مواضع، والمقصد من الخصومة: إقامة الحجة عليه من نفسه وهو أبلغ، يقال أعذر فلان من نفسه إذا أتي من نفسه ،كأنها هي التي قامت بعذر من لامها، فينقطع إنكاره وتكذيبه(٨٧) ، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ ﴾ [فصلت:١٩-٢٣]

وسبب هذه المخاصمة، أنّ الكفار لما يعطون صحائف أعمالهم، ويرون مافيها من الأعمال السيئة ،ويشاهدون العذاب أمامهم، ينكرون ماكتبته الملائكة عليهم، ويكذبون بشهادة الأنبياء والصالحين والملائكة، عندها يقيم الله عليهم الحجة من أنفسهم، فيختم على أفواههم، وتنطق جوارحهم بكل

---

(٨٧) انظر تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، الحميدي(جزء ١/ ٣٦١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

ماعملوه.ونطقها حقيقياً، وليس من قبيل المجاز ،كما قد يدعيه بعض أهل التفسير، فمن خلقها، قادر على أن ينطقها، ولذا جاء بلفظ صريح وهو قوله (أنطقنا) (٨٨) .

هذه المخاصمة يفسرها الحديث الذي رواه أبو هُرَيرَةَ–ﷺ– قال: قالوا: يا رسُولَ اللّهِ، هل نرَى ربَّنَا يوم القِيَامَةِ؟ قال :هل تُضارُّونَ في رُؤيَةِ الشَّمسِ في الظَّهِيرَةِ لَيسَتْ في سحَابَةٍ، قالوا : لا، قال: فهَلْ تُضارُّونَ في رُؤْيةِ الْقمَرِ ليْلَةَ الْبدْرِ ليس في سحَابَةٍ؟ قالوا: لا، قال: فوَالَّذِي نفْسِي بيده، لا تُضارُّونَ في رُؤْيةِ ربِّكُمْ إلا كما تُضارُّونَ في رُؤْيةِ أحَدِهِمَا، قال: فيَلْقَى الْعبْدَ، فيقول: أيْ فلْ ،ألَمْ أكْرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ وأُزَوِّجْكَ ،وأُسَخِّرْ لك الْخيْلَ والْإِبِلَ، وأَذَرْكَ ترْأَسُ وتَرْبَعُ! فيقول: بلَى، قال: فيقول: أَفَظَنَنْتَ أنَّكَ مُلاقِيَّ، فيقول: لا، فيقول: فإِنِّي أنْسَاكَ كما نسِيتَنِي، ثمَّ يلْقَى الثّانِيَ، فيقول: أيْ فلْ، ألَمْ أكْرِمْكَ وَأسَوِّدْكَ وَأزَوِّجْكَ ،وَأسَخِّرْ لك الخيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَركَ تَرأَسُ وَتَربَعُ، فيقول: بلَى أيْ ربِّ، فيقول: أَفَظَنَنتَ أنَّكَ ملاَقِيَّ، فيقول: لا، فيقول: فَإِنِّي أَنسَاكَ كما نَسيتَنِي، ثمَّ يَلقَى الثَّالثَ ،فيقول له مثْلَ ذلك ،فيقول: يا ربِّ آمَنتُ بكَ وَبكِتَابِكَ وَبِرسُلِكَ، وَصَلَّيتُ وَصمْتُ وَتَصَدَّقتُ، ويثنى بخَيْرٍ ما استَطَاعَ ، فيقول: ها هنا إذًا، قال : ثمَّ يقَالُ له: الآنَ نَبعَثُ شَاهدَنَا عَلَيكَ، ويَتَفَكَّرُ في نَفْسهِ من ذا الذي يَشهَدُ علَيَّ، فَيخْتَمُ على فيه ،ويقال لفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعظَامِهِ: انطقي، فَتَنْطقُ فَخِذهُ وَلَحْمهُ وَعِظَامهُ بعَمَلِهِ، وَذَلكَ لِيعْذِرَ من نَفْسهِ، وَذَلكَ الْمنَافِقُ وَذَلكَ الذي يَسخَطُ الله عليه)(٨٩) .

ولقد تعجب–ﷺ– من هذه المخاصمة التي تدور بين المرء وأعضائه، وضحك من هذا الحوار بينهما، حيث روى أَنَسِ بن مَالكٍ–ﷺ– فقال: كنا عنْدَ رسول اللّهِ –ﷺ– فَضَحك، فقال:(هل تَدْرونَ ممَّ أَضحَكُ؟ قال: قلْنَا: الله وَرَسولُهُ أَعلَمُ، قال: من مخَاطَبَةِ العَبْدِ ربَّهُ، يقول: يا ربِّ ألَمْ تجِرْنِي من الظّلْمِ؟ قال: يقول: بلَى، قال:فيقول: فأني لا أجِيزُ على نَفْسي إلا شَاهدًا منِّي، قال: فيقول: كفَى بنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيكَ شَهيدًا، وَبالْكِرَامِ

---

(٨٨) انظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم (١/١٣٤).

(٨٩) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٢٧٩) في كتاب الزهد والرقائق ح (٢٩٦٨).

الْكَاتِبِينَ شهُودًا، قال: فَيخْتَمُ على فيه، فيقال لأَرْكَانِهِ: انْطقِي، قال :فَتَنْطقُ بأَعْمَالِهِ، قال: ثمَّ يخَلَّى بَينَهُ وَبَينَ الكَلَامِ ،قال: فيقول: بُعدًا لكُنَّ وسُحْقًا فعَنْكُنَّ كنت أُنَاضلُ)[٩٠] ومعنى : ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أي: أنكم تستخفون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش، وما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم، لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم، بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلاً، ولكنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون، فما استترتم إلا لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون، وهو الخفيات من أعمالكم، وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم هو الذي أهلككم وأرداكم في جهنم [٩١] . ولهذه الآية سبب نزول، وهو ما رواه عبدالله بن مسْعُودٍ –ﷺ– قال:(اجْتمَعَ عنْدَ الْبيْتِ ثلَاثَةُ، نفَرٍ قُرَشيَّانِ وَثَقَفيٌّ، أو ثَقَفيَّانِ وَقُرَشيٌّ، قَليلٌ فقْهُ قُلُوبِهِمْ ،كَثيرٌ شحْمُ بُطُونِهِمْ، فقال أحَدُهُمْ: أتُرَوْنَ اللّهَ يَسمَعُ ما نقُولُ، وقال الآخَرُ: يَسمَعُ إن جَهَرنَا، ولا يَسمَعُ إن أَخفَيْنَا، وقال الآخَرُ: إن كان يَسمَعُ إذا جَهَرنَا، فهُوَ يَسمَعُ إذا أَخفَيْنَا فَأَنزَلَ الله عز وجل : ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ الآيَةَ)[٩٢] . وإن كان لهذه الآية سبب نزول خاص، فسيقال أيضا للكفار يوم القيامة ذلك: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ ويجوز أن يكون هذا من قول الجوارح لهم، ويجوز أن يكون من قول الله عز وجل، أو الملائكة [٩٣] .

---

(٩٠) اخرجه مسلم في صحيحه ٤ /٢٢٨٠) في كتاب الزهد والرقائق، ح (٢٩٦٩)وأنفرد به.

(٩١) انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ،المباركفوري (٨٨/٩).

(٩٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٤١) في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ح (٢٧٧٥).

(٩٣) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٥١/١٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المبحث الثالث: خصومة الأعمال عن صاحبهما.

تأتي يوم القيامة بعض الأعمال الصالحة تخاصم عن صاحبها، فتُجسّم بعض الأعمال يوم القيامة، وتصبح أمور مشاهدة، وتتكلم مخاصمة عن أصحابها، ولايمنع استحالة ذلك في الدنيا، استحالتها يوم القيامة، فإن أمور الآخرة مخالفة لمعتاد أمور الدنيا [٩٤] ، ومن هذه الأعمال التي تخاصم عن صاحبها، ما سأذكره في هذين المطلبين:

المطلب الأول: مخاصمة سورتي البقرة وآل عمران عن صاحبهما.

لسورتي البقرة وآل عمران فضائل كثيرة في الدنيا والآخرة، فمن فضائل سورة البقرة في الدنيا أنها حرزٌ من الشيطان الرجيم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –ﷺ–أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ –قَال:(لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَة) [٩٥]. وفيها أعظم آية في كتاب الله: آية الكرسي. وأخذها بركة، وتدفع شر السحر والسحرة. أما عن فضائلهما في الآخرة فيتضح في الحديث الذي رواه أبو أُمَامَةَ البَاهِلِيّ –ﷺ–قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله –ﷺ – يَقُولُ :(اقْرَؤُوا القُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعاً لأصْحَابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: البَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أصْحَابِهِمَا، اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فَإِنَّ أخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلا تسطيعها

---

(٩٤) انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٣٩/٢٧).

(٩٥) اخرجه مسلم في صحيحه (٥٣٩/١) في كتاب صلاة المسافرين ،باب استحباب صلاة النافلة في بيته ح (٧٨٠).

البَطَلَةُ[٩٦].ومعنى الغمام :السحاب، والغياية: كل شيء أظلّ الإنسان من فوقه، وفرقان: قطعتان، صواف: باسطات الأجنحة في الطيران[٩٧].فيوم القيامة يناط بسورتي البقرة وآل عمران أمران هما :

١-أنهما تظلان صاحبهما من حر يوم الموقف، كأنهما سحابتان، أو قطع من الطير باسطة أجنحتها فوقه.

٢-أنهما تخاصمان وتحاجان عن صاحبهما، وتشفعان له في ذلك اليوم العظيم عند ربه، فتدفعان عنه العذاب، والمخاصمة كناية عن المبالغة في شفاعتهما لصاحبهما [٩٨]. ولا يفهم مجيء ومحاجة سورتي البقرة وآل عمران عن صاحبهما، أن القران هو الذي يأتي ويتكلم، كما استدلت به المعتزلة بقولها في خلق القرآن، لأنّ القرآن كلام الله، والكلام صفة من صفاته الفعلية سبحانه. وإنما المراد مجيء ثوابهما، أو مجيء العمل وهو تلاوتهما، ففي معرض رد ابن تيمية (ت: ٧٢٨) عن الإمام أحمد (ت: ٢٤١) ــرحمهما اللهــ قال: (وأحمد وغيره من أئمة السنة فسروا هذا الحديث، بأن المراد به: مجيء ثواب البقرة وآل عمران، كما ذكر مثل ذلك من مجيء الاعمال في القبر، وفى القيامة، والمراد منه ثواب الأعمال... . والمقصود هنا: أن النبي -ﷺ -لما أخبر بمجيء القرآن في هذه الصورة، أراد به الإخبار عن قراءة القارئ، التي هي عمله، وذلك هو ثواب قارئ القرآن، ليس المراد به أن نفس كلامه الذي تكلم به، وهو قائم بنفسه، يتصور صورة غمامتين، فلم يكن في هذا حجة للجهمية على ما ادعوه)[٩٩].

---

(٩٦) اخرجه مسلم في صحيحه (٥٥٣/١) في كتاب صلاة المسافرين ،باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ح (٨٠٤).

(٩٧) انظر الفائق، الزمخشري (٣/ ٨٢).

(٩٨) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري (١٧/٥).

(٩٩) مجموع الفتاوى (٣٩٩،٣٩٩٨/٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المطلب الثاني: مخاصمة الأمانة والرحم عن صاحبها.

الأمانة والرحم من الأعمال اللتان تحاجان عن صاحبهما، فتقفان على جنبتي الصراط، دون سائر الأعمال، لعظم أمرهما عند الله روى حذيفة–ﷺ –في حديث طويل وفيه قال: قال رسول الله– ﷺ –(...فيَأْتُونَ مُحَمَّدًا– ﷺ – فيَقُومُ فيُؤْذَنُ له وتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ والرَّحِمُ فتَقُومَانِ جنَبَتَيْ الصِّراطِ يمِينًا وشِمَالًا فيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كالْبَرْق..)[١٠٠]ولعل وقوفهما هناك؛ ليثبتا على الصراط من أدى حقهما، ويسقطا من فرط فيهما، وجنبتي الصراط: ناحيته اليمنى واليسرى، والمعنى أن الأمانة والرحم لعظمة شأنهما، وفخامة أمرهما، مما يلزم العباد من رعاية حقهما يمثلان هناك للأمين والخائن والواصل والقاطع، فيحاجان عن المحق الذي راعاهما ويشهدان على المبطل الذي أضاعهما، ليتميز كل منهما [١٠١]. فالمقصد من الخصومة: مدافعة العذاب عمن قام بحقهما

---

(١٠٠) أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٧/١) في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة ح(١٩٥).

(١٠١) انظر فتح الباري، ابن حجر (٤٥٣/١١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الخاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، أحمده –سبحانه– أن منّ عليّ بإتمام هذا البحث الذي راعيت فيه الاختصار، قدر الإمكان بما يجلي الموضوع حقه، دون الاستفاضة بدقائق المسائل المتعلقة به، ولتكتمل الفائدة من البحث، عقدت له هذه الخاتمة مبينة فيها النتائج التي توصلت إليها، ثم التوصيات التي يمكن أن يوصى بها في هذا المقام:

أولاً: النتائج:

١–أن الخصومة تختلف عن الحوار، ففي يوم القيامة سيكون هناك حوارات متعددة ومتنوعة، بعض من تلك الحوارات يكون على وجه الخصومة، والتخاصم، وهو ما كان فيه غلظة وشدة، ومنازعة بين طرفين وأكثر، بقصد الغلبة.

٢–أن من جملة ما يقع في الآخرة من أمور جسام، التخاصم في ذلك اليوم، وهو يتنوع ويتعدد، وهذه الخصومات، هي خصومة الله لبعض عباده، وهي أربع خصومات، وخصومة الخلق فيما بينهم وهي تسع خصومات، وخصومة الأعمال عن صاحبها وهي خصومتان .

٣–أن المقصد من التخاصم في يوم القيامة يتنوع ويختلف بحسب نوع الخصومة، فقد يكون التخاصم لاستيفاء حقوق، أو لبيان عظم الذنب الذي أتى به صاحبه، أو لإقامة عدل الله في الظالمين والكافرين، أو لإقامة الحجة عليهم، وقطع أعذارهم، أو لزيادة حسرتهم، وعذابهم وكشف حقيقتهم أمام بعضهم. وقد تكون لقصد مدافعة للعذاب عن العبد، والنجاة من النار، كما في تخاصم سورتي البقرة وآل عمران عن صاحبهما، وتخاصم

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الضعفاء للمستكبرين، وقد يكون للحصول على فضيلة ومنزلة رفيعة كما في تخاصم الشهداء، مع من مات على فراشه، فيمن مات بالطاعون. وقد يجتمع أكثر من مقصد في خصومة واحدة.

٤-بالرغم من تعدد الخصومات يوم القيامة وتنوعها، ووقعها الأليم على النفوس، إلا أنها تعد جزءًا يسيراً جداً من أحداث ومشاهد هذا اليوم العظيم، الذي قال الله فيه {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ}[الانفطار:١٧،١٨] وقال تعالى{ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا *السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا }[المزمل:١٧،١٨] نسأل الله السلامة، وحسن المآل.

ثانياً: التوصيات:

١-في ظل طغيان الماديات، وانسياق الناس- لاسيما الشباب- إلى المغريات والملهيات، في عصرنا هذا، ينبغي على العلماء والدعاة، والمصلحين تذكير الناس بيوم الدين، وما فيه من بشارات وكرامات لأولياء الله المؤمنين، وعذاب ونكال للمتمردين، فإنه أعظم واعظ للقلوب، وموجه لسلوك الصراط المستقيم.

٢-ضرورة تضمين مناهج التعليم، حديثاً عن اليوم الآخر، بما يتناسب مع كل مرحلة تعليمية، فبعد الشباب عن تذكير يوم الحساب، وما فيه من حساب وعقاب وقصاص، إحدى عوامل انحرافهم، ووقوعهم في براثن التطرف، والاستهانة بأمر الدماء وسفكها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى إله وصحبه أجمعين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

د. مريم بنت علي الحوشاني

Abstract

disputes on Judgement Day in the light of the Qur'an and Sunnah

Prepared by :Dr. Maryam Ali Alhoshani
Associate Professor of Faith and Contemporary Beliefs
College of Art - Islamic Studies
Department
Princess Noura Bint Abdulrahma University

Subject: Differences on Judgment Day in light of the Quran and Sunnah

Problem of the research: All differences that happen on Judgment Day, in the light of the Quran and Sunnah. Objectives: The research depends on two objectives: definition of differences and the similar terms, the difference between them and the types of differences that occur on Judgment Day and its purposes, in light of the Quran and Sunnah. Research Methodology: The study based on the inductive approach, then the Deductive approach. The research results were as follows: The difference differs from the dialogue. On Judgment Day, there will be many and varied dialogues, some of those dialogues will be on differences and it is varied and multiple. These differences are differences of Allah to some of his slaves, which are four differences; differences of people among each other is nine differences and Business differences about the owner and it is two differences. That the purpose of the difference varies and differs according to the type of differences. You may meet more than one destination in a single difference. Despite the multiplicity of differences on Judgment Day, its diversity and its painful impact on the souls, but it is a very easy part of the events of this great day. The recommendations were that under the tyranny of materialism and people are drawn to temptations and delusions. Scholars and preachers should remind people of Judgment Day, there are signs of the faithful believers of Allah, and torment of the rebels. The need to include these meanings in the curricula of education, newly on Judgment Day, commensurate with each stage of education.

Keywords: Differences, Conflicts, Argument, Judgement Day

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، (ت:٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر، (د: ط).

٢- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، (ت:٤٥٦هـ) دار الحديث – القاهرة، ط:١-١٤٠٤هـ.

٣- إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (ت:٥٠٥)، بيروت، دار المعرفة، (د: ط).

٤- الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، (ت:٧٢٨) تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط: ١، ١٤٠٣ هـ.

٥- البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز بن فرحان العنزي(معاصر)، ط:١، أبو ظبي، دار الإمام مالك. ط:١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، (ت:١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية (د: ط).

٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور(ت:١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر – تونس –ط: ١٩٩٧م.

٨- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي محمد عبدالرحمن المباركفوري، (ت:١٤٢٧هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د:ط).

١٠ -التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، (ت:٧٩٥هـ) مكتبة دار البيان - دمشق، ط: ١- ١٣٩٩هـ.

١١-التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، (ت:٧٤١)، بيروت، دار الكتاب العربي ط:١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٢-التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني،١٤٠(ت:٣١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١.

١٣-تفسير البغوي ، البغوي(ت:٥١٦هـ) تحقيق : خالد عبد الرحمن العك، بيروت، دار المعرفة،(د:ط).

١٤-تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم،محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي(ت:٤٨٨هـ) تحقيق:د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز مصر،القاهرة، مكتبة السنة ،ط:١، ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م.

١٥-التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١ هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية بيروت، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط: ١، ١٤١٠هـ.

١٦ -تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن بن ناصر السعدي،(ت: ١٣٧٦هـ)، ، تحقيق : ابن عثيمين، بيروت، مؤسسة الرسالة ،ط: ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

١٧-التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، (ت:١٠٣١هـ)، الرياض، مكتبة الإمام الشافعي، ط:٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٨-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، (ت: ٣١٠ هـ) دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

١٩-الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (ت:٢٥٦)، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، اليمامة – بيروت، دار ابن كثير، ط:٣ - ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.

٢٠-الجامع الصحيح سنن الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمدمحمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د: ط).

٢١ -جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، أبي الفرج عبد الرحمن االبغدادي ابن رجب، (ت:٧٩٥)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس بيروت، مؤسسة الرسالة، ط:٧- ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٢-الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت:٦١٧هـ): دار الشعب – القاهرة، (د: ط)، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط:١ – ١٤٠٩هـ.

٢٣-حاشية السندي على النسائي، نور الدين بن عبدالهادي أبو الحسن السندي(ت:١١٣٨هـ) تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية ،ط:٢، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ .

٢٤-الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة، يحيى بن محمد زمزمي (معاصر)، مكة، دار التربية_ رمادي للنشر، ط:١،١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢٥-الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، د. أحمد الصويان(معاصر)، الرياض، دار الوطن، ط:١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٢٦-الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، (ت:٩١١هـ)، بيروت، دار الفكر، ط:١٩٩٣هـ.

٢٧-سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، (ت:٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، (د: ط).

٢٨-سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، (ت:٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، (د: ط).

٢٩-شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبد السلام، (ت:٦٦٠هـ) تحقيق: إياد الطباع، دمشق، دار الفكر، ط:١، ١٤١٨هـ.

٣٠-شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي (ت:٤٩٤هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، السعودية، الرياض، مكتبة الرشد، ط: ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣١-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي(ت:٧٥١هـ) تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ.

٣٢-صحيح الجامع الصغير للسيوطي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (ت:١٤٢٠هـ)، بيروت، نشر المكتب الإسلامي، ط:١، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م

٣٣-صحيح مسلم بشرح النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت:٦٧٦هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: ٢، ١٣٩٢هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ – ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

٣٤-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، (٧٨٥هـ) بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د: ط).

٣٥-عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي،(ت: ١٣٢٩هـ)،بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية،ط:١، ١٤١٠هـ،١٩٩٠م.

٣٦-العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت:١٧٣هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت) (د: ط).

٣٧-الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، (ت:٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، دار المعرفة، ط: ٢.

٣٨-فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(ت:٨٥٢هـ)، تحقيق : محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة ،(د:ط).

٣٩-فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، (ت:١٠٣١)، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط: ١، ١٣٥٦هـ.

٤٠-القيامة الكبرى، أ.د عمر الأشقر، (ت:١٤٣٣هـ)، الأردن، دار النفائس، ط:١٣، ١٤٢٣هـ،٢٠٠٤م.

٤١-كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة(ت:٣١١هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، السعودية، الرياض، مكتبة الرشد ،ط:٥، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٤٢-لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت: ٧١١هـ)، بيروت، دار

صادر، ط١.

٤٣-المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، (ت:٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط:٢ ،١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.

٤٤-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت:٨٠٧)، القاهرة وبيروت، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي، ط: ١٤٠٧هـ

٤٥-المجموع النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت:٦٧٦هـ)، بيروت، دار الفكر، ط١٩٩٧م.

٤٦-مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ،أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس(ت:٧٢٨)، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، الرياض، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة:٢.

٤٧-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، (ت:١٠١٤هـ) تحقيق: جمال عيتاني، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٨-مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي(ت:٥٤٤هـ) المكتبة العتيقة ودار التراث، (د:ط).

٤٩-معاني القرآن الكريم، النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت:٨٨٣)، تحقيق: محمد علي الصابوني،

٥٠-معجم الفروق اللغوية، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، (ت:٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط: ١، ١٤١٢هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٣٧٢ - ١٤٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

٥١-المعجم الكبير، اسم المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الموصل، مكتبة الزهراء، ط:٢، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٣ م.

٥٢-المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة (د: ط)

٥٣-مفهوم الحكمة في الدعوة، ابن حميد، صالح بن عبد الله بن حميد، (معاصر) السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط:١- ١٤٢٢هـ.

٥٤-النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (ت:٨٨٣هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزا وى - محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية ط: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.